

الأسس الإستمولوجية في الفكر اللغوي لدى تشومسكي

Linguistic foundations in Chomsky's linguistic thought

أسماء بن منصور

Asma Benmansour

- جامعة باتنة 1 (الجزائر)، benmansour.asma15@gmail.com

تاريخ النشر:

تاريخ القبول: 2020/9/12

تاريخ الاستلام: 2020/1/13

2020/./...

ملخص:

يعالج هذا البحث الأسس المعرفية التي ارتكز عليها نوام تشومسكي في بناء صرحه اللغوي ابتداء من النظرية التوليدية التحويلية مرورا بالعديد من النظريات التي استجدها وصولا إلى نظرية النحو الكلي. حيث تناول البحث الميادين و العلوم المختلفة التي نهل منها الرجل كالفلسفة الأفلاطونية و الديكارتية، اللسانيات القديمة (أفكار بور رويال و لسانيات همبولدت) و أخيرا ، علم النفس المعرفي و علم الأحياء الحديث، و قد استند البحث إلى المنهج الوصفي التحليلي تساوقا مع طبيعة الموضوع التي تستدعي اعتماد هذا المنهج، أما في خصوص المراجع فقد اعتمد البحث على أعمال تشومسكي

باللغة الإنجليزية و المترجمة إضافة إلى العديد من كتب اللغة و النحو في
الدرس اللغوي العربي الحديث.

وقد خُصّ البحث إلى عدة نتائج لعل أهمها: كانت الفلسفة الغربية
القديمة منبعاً ثرياً استقى منه تشومسكي أهم نظرياته و خاصة (الفلسفة
الأفلاطونية، والفلسفة الديكارتية).

كلمات مفتاحية: الأسس المعرفية، نوام تشومسكي، اللغة، الفلسفة، علم
النفس المعرفي.

Abstract:

This research deals with the cognitive foundations on which Chomsky was based in building his linguistic edifice, from the transformation Grammar theory to many emerging sub-theories to the theory of Grammar Universal .This research also deals with the different sciences fields from which Chomsky was inspired, such as Platonic and Cartesian philosophy, ancient linguistics (Humboldt, Port-Royal) and finally cognitive psychology and modern biology.

Keywords:

Language, philosophy, linguistics, cognitive psychology.

لقد غير "تشومسكي" وجهة اللسانيات تغييرا جذريا، وما أحدثه لم يكن قطيعة وحسب مع المفاهيم اللغوية المسيطرة على علم اللغة آنذاك، بل كان بمثابة ثورة معرفية طالت النظرية اللسانية برمتها، ثورة سعت للإطاحة بالدراسات اللغوية الخاضعة للاتجاه الوصفي المستندة إلى نظريات علم النفس السلوكي.

استهل تشومسكي طريقه هذا برفض قاطع لمبادئ النظرية السلوكية التي تعدُّ اللغة سلوكا آليا يقوم على مبدأ الحافز والاستجابة "stimulus and response"، مقترحا مفاهيم جديدة جديرة بدراسة اللغة وكيفية اكتسابها، داعيا إلى تجاوز حدود الوصف الذي لا يهتم إلا بالسطح اللغوي إلى رحابة التفسير الذي يعنى بالمعرفة اللغوية الكامنة في أذهان المتكلمين الأسوياء، عادّا هذه المعرفة تنظيما عظيما معقدا، فشيّد نظرية لغوية تقوم على جهاز مفاهيمي ضخم يستقي أسسه من حقول معرفية متشعبة. وهنا وجب علينا طرح جملة من التساؤلات أهمها: ما هي أهم الأسس المعرفية التي استقى منها تشومسكي فكره اللغوي؟ هل أخذ من منبع واحد أم تعددت مشاربه؟ كيف استفاد من الفلسفة الغربية القديمة؟ وهل أسهمت العلوم الحديثة في تشييد نظرياته اللغوية؟

المبحث الأول: الأسس الفلسفية العقلية (أفلاطون وديكارت)

أفلاطون:

لقد كانت الفلسفة الغربية أول المناهل التي تشرب منها تشومسكي حيث بحث نفس الإشكالية - وهي إشكالية طبيعة المعرفة البشرية - التي أثارها قبل 24 قرن الفيلسوف الإغريقي أفلاطون وقبله سقراط، وذلك من خلال إعادة تلك الإشكالية في عدة تساؤلات فلسفية يحاول معالجتها بمنطق العلم الحديث مستفهما: ما نظام المعرفة اللغوية؟ أي: ما الذي يوجد

في عقل / دماغ الذي يتكلم الإنجليزية أو اليابانية ؟ كيف نشأ نظام المعرفة هذا في العقل الدماغ؟ كيف تستعمل هذه المعرفة في الكلام (أو الأنظمة الثانوية مثل الكتابة)؟ ما العمليات العضوية التي تكوّن الأساس المادي لنظام المعرفة هذا، ولاستعمال هذه المعرفة؟

يَعُدُّ تشومسكي السؤال الثاني ذا أهمية خاصة يسميه بـ "مشكلة أفلاطون" (تشومسكي، 1990، ص 14-15)، وهذه المشكلة قد صاغها الفيلسوف البريطاني برتراند راسل بقوله: "كيف يمكن لأفراد النوع البشري أن يعرفوا ما يعرفونه على الرغم من قصر تجربتهم مع الـكون ومحدوديتها" (تشومسكي، 1990، ص 15)

وقد وردت هذه المشكلة الأفلاطونية في محاوره سقراط لمينون، إذ سأل "مينون" سقراط: كيف يمكن لنا أن نبحث عن شيء نجهله لهذا السبب البسيط : وهو أننا نجهل ما هو؟ وقد أجابه سقراط مقدما حججا ميتافيزيقية تتلاءم وتفكير العقل اليوناني الذي يؤمن بالخلود وعيش حيوات متعددة يقضيها في العالم الطبيعي والعالم السفلي "عالم الأموات"، ولذا لا غرابة أن تعرف النفس البشرية كل المعارف وتذكر شيء واحد يستوجب شد حبال العديد من الأشياء من شتى العلوم الأخرى. (أفلاطون، 2001، ص 28-29)

يعرض أفلاطون نظرية المعرفة السابقة (الكامنة) أنفا لتفسير ظاهرة المعرفة البشرية ويقدم حججا لنظريته من أمثلة سقراط ، إذ يزعم سقراط ومعه تلميذه أفلاطون أن عبدا صغيرا يستطيع أن يحل مسألة هندسية رغم أنه لم يدرس الرياضيات بعمره، فيكون هذا دليلا أن الغلام توصل لحل المسألة بتذكره لمعارف مسبقة كامنة في نفسه ، ولكنه لم يكن على دراية بها، والشئ الذي جعل هذه المعارف تظهر هو أسئلة سقراط التي طرحها على

العبد والتي كانت بمثابة منبه جعل المعارف المكنونة في النفس تخرج للعيان. (أفلاطون، 2001، ص 30)

إن مشكلة أفلاطون تفسر "كيف نعرف هذا القدر الكبير جدا إذا ما أخذنا في الاعتبار أنّ ما هو متاح لنا ضئيل للغاية." (تشومسكي، 1993، ص 45) أي كيف يمكن للطفل أن يعرف كل هذه الأشياء عن اللغة ، وكيف يستخدمها إذا كان المجتمع لا يقدم له إلا جزءا بسيطا من المعرفة اللغوية؟

وهذه المشكلة هي الأساس الذي انطلق منه تشومسكي وحاول أن يعيد صياغتها بالطريقة العصرية مقترحا حلا شبيها بحل سقراط وأفلاطون وهو التسليم بأن بعضا من " مظاهر معرفتنا وفهمنا خصائص فطرية، أي أنها جزء من إعدادنا الأحيائي المحدد بالوراثة Gently Determined إذ تماثل هذه الخصائص عناصر طبيعتنا المشتركة التي تجعل من اللازم أن تنمو لنا أرجل وأذرع بدلا من أجنحة." (تشومسكي، 1990، ص 14)

يوضح تشومسكي بأن الإجابة عن السؤال الثاني أو تقديم حل لمشكلة أفلاطون هو تحديد للنحو الكلي العام و وصف للطرق التي تتفاعل بها مبادئه مع التجربة الحسية لتولد بعد ذلك اللغة الخاصة ، ذلك أن النحو الكلي نظرية عن الحالة الأولية initial state للغة (Chomsky, 1986) والمشكلة الكلاسيكية في رأيه تبدو أكثر إثارة للجدل، فعلى سبيل المثال: التسليم بفكرة الملكة اللغوية كمكون ذهني/ عقلي تنتج المعرفة اللغوية بناءً على التجربة المقدمة، حيث أنه لا جدال في أن البشر يحصلون على معرفة خاصة بالإنجليزية أو اليابانية بينما الصخور والطيور والقردة لا يحصلون عليها. هذا التسليم يستوجب الخوض في مسائل أعمق لطرح أسئلة أكثر عمقا عن طبيعة هذه المشكلة وملازماتها وكيفية عملها ومعالجتها معالجة عصرية.

فيجب أن نُحلّ مشكلة أفلاطون إذن برد مبادئ الملكة اللغوية الثابتة إلى التركيب العضوي البشري ، فتُفهم على أنها جزء من إعداده الأحيائي إذ تثنى هذه المبادئ بالطريقة التي يعمل بها العقل في نطاق الملكة اللغوية. " (تشومسكي، 1990، ص 44)

- ديكارت:

بالعودة إلى أسئلة تشومسكي السابقة نلتقي بمشكلة "ديكارت" والتي يطرحها السؤال الثالث، أي : كيف تُستعمل هذه المعرفة في الكلام (أو الأنظمة الثانوية مثل الكتابة؟). ويُجزأ هذا السؤال إلى مظهرين، هما: مشكلة الإدراك ومشكلة الإنتاج، فتُعني مشكلة الإدراك بالكيفية التي تتم بها تفسير ما نسمعه أو نقرأه وهذا المظهر يُعده تشومسكي أمراً ثانوياً. أما المظهر الثاني وهو الأكثر أهمية فيتمثل في مشكلة الإنتاج ، وهي الأكثر غموضاً وذلك لأنها تدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي تجعلنا نقول ما نقوله وهي التي يسميها "بمشكلة ديكارت". (تشومسكي، 1990، ص 16)

"تتجلى عودة تشومسكي إلى العقلانية في أنه ينشئ اتجاهها تقليدياً، يطلق عليه "الديكارتية" أو "علم اللغة الديكارتية" يظن أنه يمكنه به أن يؤسس نظريته اللغوية، وأن يحل السؤال الخاص بنظرية المعرفة بمفهوم العقلانية وبهذه الطريقة أُقيمَ تعالق خاص بتاريخ المشكلة بين جهود مطابقة في الماضي والحاضر، وطُرِحَ السؤال عن رواد علميين (حتى يُقوي موقفه الخاص) الذي يعد مشروعاً حقاً، حتى وإن كان يخفي في داخله أن يصير إلى ملاحظة الرواد لتبرير آرائه الخاصة وتوكيدها. " (هبلش، 2007، ص 132)

كان الفكر الفلسفي القديم يقوم على أساس الاعتقاد بالفصل بين الفلسفة والعلم ، والتمييز بينهما، و كأن الذسق العلمي مستقل عن الذسق

الفلسفي ، إلا أن تشومسكي يرفض هذا الفصل، ويرى أنه فصل لا يدعمه تاريخ الفلسفة نفسه... يستدل تشومسكي على بطلان التمييز بين العلم والفلسفة بأدلة، منها : أن ديكارت كان يعتبر الفلسفة دراسة للأسس التصورية للعلم، أو الحدود القصوى للتأملات العلمية، كما أن دافيد هيوم (HUM) يعتبر مشروعه الفلسفي ، شديد الصلة بمشروع نيوتن (Newton) ، ولذلك كانت العلوم الطبيعية تسمى بالعلوم الفلسفية، كما أن مصطلح النحو الفلسفي يطلق على النحو العلمي. وهذا يدل على عدم صحة الاعتقاد الذي ترسخ في تاريخ الفكر الغربي في مرحلة متأخرة نسبيا، ذلك الاعتقاد الذي يقوم على تصور الفصل بين العلم والفلسفة. (بنكيران، ص 46)

و حين يرجع تشومسكي إلى العقلانية الفلسفية و " الديكارتية "، فإنه يتحرك من جهة الجانب النشط للوعي وفهم إبداعية اللغة، غير أنه يرجع من جهة أخرى إلى الأفكار الغريزية لديكارت Descarte، التي لم تعد بالنسبة إليه ذات أصل إلهي، بل هي تعود لفطرة بيولوجية محضة ، ويعزو للطفل "نظرية فطرية" لكي يصف بذلك " الاستعداد الفطري" للطفل لتعلم لغة ما. (هبلش، ص 133)

وتحت مدلول " اللسانيات الديكارتية " جمع تشومسكي جملة من الأفكار والنتائج المؤطرة بنظرية للعقل والمرتبطة بطبيعة اللغة الإنسانية. أفكار يترتب عن تحليلها نتائج نتوزع على أعمال فلسفية ومنطقية و لسانية يغطي قسم منها ثلاثة قرون من التأمل في اللغة، لتمهيد قيام اللسانيات الكلية في صورتها المعاصرة. (الأوراغي، 2001، 69)

ومن جملة هذه الأفكار فكرة الفطرية وهنا ينبغي علينا أن نتساءل عن مقصد ديكارت بالفطرية أو الأفكار الفطرية أهي : عمليات عقلية أم أنها أشياء عقلية ؟ أم كلاهما معا ؟

يبدو أنّ ديكارت يُجيب عن هذا السؤال في مواضع مختلفة بطرق مختلفة ، بمعنى يبدو أنّه يشير إلى محتوى الأفكار عندما يتحدث عن الأفكار الفطرية، إذ نراه في " التأمل الخامس Meditations Five " يقترح أنّ الأفكار الفطرية هي ما نتذكره، وعلى حد رأيه الإنسان لا يتعلم شيئاً بقدر ما يتذكر شيئاً يعرفه من قبل : وهو هنا يشير إلى المحتوى المحدد ، وهذا يذكرنا بنظرية أفلاطون عن التذكر (Behmo,2011,PP.76-77) والتي استمدّها من معلمه سقراط كما سبق وبينّا في المبحث السابق.

وفي حديثه عن معرفة البشر بالله يرى ديكارت أن البشر يستدلون على ذلك بالمعرفة الفطرية ، التي أودعها الله فينا كهبة أصيلة تقودنا للاستدلال على وجود الخالق وهو في هذا يرد على الذين لا يؤمنون بشيء خارج نطاق الحواس. (Descartes,1996"1911". PP. 32-32)

انظر إلى قوله في : "معرفة خصائص الأشياء والأعداد والأشكال والحركات": "بالربط مع طبيعتي الذهنية وبيداهة كلية ، لا يبدو لي أنّي أتعلم أمراً جديداً عندما أكتشف هذه الأشياء (الأعداد والأشكال والحركات وأشياء أخرى من هذا القبيل) ، بل أنا فقط أقوم بالتذكر وحسب وأنا أستجمع ما سبق لي معرفته من قبل . " (Ibid, PP.23)

"فهو يرى أن معرفة الأشياء هي معرفة فطرية مزروعة فينا ونحن لا نتعلمها من التجربة الحسية، بل نتعرف عليها بواسطة طاقتنا العقلية الأصيلة، وكل الحقائق الهندسية هي من هذا النوع... فسقراط سأل الفتي الرقيق حول عناصر الهندسة محاولاً جعل الفتي يُنقّب عن الحقيقة في ذهنه، التي لم يكن يدركها من قبل... ومعرفتنا بالله شبيهة بهذا" (Behmo, Pp.) (77)

لكنه في رده على المجموعة الثالثة من [The Third] objections Set of Objection يشرح " الفطري " بالعمليات العقلية .
وهذه الأفكار الفلسفية أخذت من قبل تشومسكي كمرتكز لآرائه حول ملكة اللغة الفطرية، فهو يتمسك بفرضية أنّ جزءا كبيرا من تعلم اللغة يعود إلى الجانب الفطري، (فهي شفرة موجودة في جيناتنا) ومن هنا يقدم نظرية النحو الكلي التي تفسر طبيعة الملكة اللغوية الفطرية.

بل إنّ تشومسكي يرى أن إحياء هذه الأفكار الفلسفية القديمة ودمجها في مباحث علم اللغة يجعل علم اللغة علما قادرا "على أن يسهم إسهاما حقيقيا في دراسة ومعرفة طبيعة العقل البشري . ومازال هذا العلم يقدم الدليل تلو الآخر على دوره من خلال الصراع الطويل الأمد الذي قام بين العقلانيين والتجريبيين، والخلاف الحاد بين هذين المذهبين هو أنّ العقلانيين يدعون أن العقل أو العلة هما المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية بينما يذهب التجريبيون إلى أن المصدر الأساسي للمعرفة هو التجربة. " (ليونز، 1995، ص 233)

فكان بعض التجريبيين الإنجليز أمثال " Lock لوك " و "دافيد هيوم Hume" يذهبون إلى أنه لا يمكن إدراك العالم الخارجي إذا لم تقدم لنا الحواس التجارب عنه، فحسب رأيهم لا يوجد شيء يسمى بالعقل. إلا أنّ ديكارت ذهب إلى أنّ فهم العالم الخارجي يقوم على أفكار فطرية innate ليست وليدة التجربة.

كما ردّ التجريبيون تشابه اللغات الإنسانية واشتراكها في العديد من السمات حتى ليكاد المرء يحسبها ذات أصل واحد، وتفرعت بعدها لظروف عديدة، إلى كون " جميع اللغات الإنسانية تشير إلى أشياء وإلى صفات العالم الطبيعي التي تفترض أن جميع البشر العاديين من الناحية

الفيزيولوجية والنفسية قادرون على إدراكها ، وأن جميع اللغات في أي ثقافة أو حضارة تُستخدم للقيام بعدة وظائف متشابهة مثل إصدار الأوامر وطرح الأسئلة والإجابة عنها وغير ذلك ، وأن هذه اللغات تستغل نفس الجهاز الفسيولوجي وبنفس الطريقة بحيث يمكن القول بأن عمل الجهاز يقف وراء بعض الخصائص المنطقية للغة " (نفسه، ص 247)، وليس مرده الأفكار الفطرية.

وإذا كان تشومسكي يستند إلى الاتجاه العقلي فإنه يفعل ذلك لما يراه في هذا الاتجاه من اعتناء بالعقل البشري وبما يمتاز به من طاقات لا محدودة ووي وإدراك وإبداع، ذلك أن الاتجاه العقلي يفترض أن ذكاء الإنسان العادي فريد، حر وخالق وخارج حدود التفسير الآلي الذي يقدمه التجريبيون.

ومن خلال ما سبق نفهم أن تشومسكي استوحى من ديكارت الفكرة المتعلقة بفطرية اللغة، أي البنية الذهنية المجردة المجاهزة للاستعمال عند الإنسان، ذلك أن اللغة عندهما (ديكارت وتشومسكي) سمة بارزة تميز الجنس البشري عن غيره من المخلوقات.

- 2- الأسس اللغوية (بور رويال - فان همبولدت)

- بور رويال Port Royal :

ظهرت مدرسة بور رويال في فرنسا وهي تحمل اسم المنطقة التي تنتمي إليها. وكانت هذه المدرسة حلقة من حلقات الصراع بين الفلسفة التجريبية والفلسفة العقلية في القرن السادس والسابع إلى غاية القرن الثامن عشر ميلادي ، حيث تأثرت هذه المدرسة بالفلسفة الديكارتية العقلانية.

لقيت أفكار ديكارت مجالا رحبا في أوساط هذه المدرسة، إذ أصدر روادها كتابهم ذائع الصيت " النحو العام والعقلي Grammaire

Général et Raisonnée وهو كتاب في فلسفة اللغة نشره أنطوان أرنولد Antoine Arnould وكلود لانسو Claude Lancelot سنة 1660م. (مومن، 2005، ص 49)

من الأمور التي أخذتها واستثمرتها مدرسة بور رويال من الفلسفة الديكارتية فكرة أنّ اللغة مرآة عاكسة للفكر، وهذا ما يجعل اللغة (لغات العالم أجمع) عندهم تشترك كلها في البنية المنطقية.

إن اللغات الإذسانية رغم اختلافها في مواضع عديدة، و هي اختلافات يراها تشومسكي اختلافات طفيفة بالمقارنة مع وجوه التشابه، فهي تشترك في نفس الأصوات والمعاني (الأفكار) كما أنها تشترك في الكثير من الأنظمة النحوية .

وهذه النقطة بالتحديد اشتغل عليها رواد مدرسة بور رويال في مؤلفهم

" النحو العام والعقلي General and Rational Grammar

هذه الرؤية كانت سائدة منذ عقود قبل ديكارت نفسه. حيث كانت فكرة القواعد الفلسفية Speculative Grammar تمثل "تطورا كبيرا في تاريخ اللسانيات. وقد اشتق مصطلح "Speculative" من الكلمة اللاتينية Speculum "أي مرآة. ويدل على أن اللغة مرآة تعكس الحقيقة التي تختفي وراء ظواهر العالم الطبيعي. وقد ظهرت هذه القواعد في شكل بحوث حول أنماط المعنى تحت عنوان De modis Significandi من قبل مجموعة من المفكرين خلال أعلى مرحلة من تطور الفلسفة السكولاستية وذلك بين 1200- 1350م ". (نفسه، ص 32)

وكانت فكرة النحو العالمي Grammar Universal الذي تخضع له جميع اللغات الإذسانية سائدة بين أوساط اللغويين آنذاك، فالنحو ثابت جوهريا في جميع اللغات الطبيعية رغم الاختلافات العارضة والسطحية.

يرى تشومسكي أن النحو الفلسفي لم يعد معروفا اليوم . باستثناء بعض الدراسات المدرسية التي شوهت من صورة النحو الفلسفي المعقلن ، وذلك حتى في أعمال عالم ك " بلومفيلد " الذي لم يقدم صورة حقيقية أصلية للنحو الفلسفي في كتابه اللغة Language « (Chomsky, 2006, PP14)

يوظف نحاة بور رويال مبدأ القضية والحكم لوصف تعبير لغوي معين، فالتكلم حينما يرغب في التعبير عن فكرة معينة يبدي أفكاره ضمن العلاقة النحوية القائمة على المسند والمسند إليه ، كما في الجملة الاسمية البسيطة : العلم نور ، فالمسند هو النور، والمسند إليه هو العلم. أي أن المسند اليه هو المبتدأ، والمسند هو الخبر، بينما يختلف الأمر في الجملة الفعلية، مثل: نجح الطالب، فالفاعل (الطالب) هو المسند إليه، بينما الفعل (نجح) هو المسند.

يستخدم نحاة بور رويال الجملة الشهيرة : الله اللامرئي خلق العالم المرئي Invisible God created the visible world، فهذه الجملة " تتضمن قضية أساسية هي : " الله خلق العالم ". أما القضيتان الفرعيتان " الله لا مرئي - العالم مرئي " المفهومتان ضمينا ، فليستا سوى قضيتين عَرَضيتين ، تشكل الأولى جزءا مكملًا للمسند إليه، بينما تشكل الثانية طرفا زائدا في المسند وبالتالي فإن (هذه) الجملة ... تحتوي على ثلاث بنيات ضمنية تعبر كل واحدة منها - في ذهننا - على حكم بسيط . و من هذه التحليلات العميقة للجمل من قبل نحاة بور رويال استلهم تشومسكي تصوره الجديد في الربط بين الجمل بواسطة التحويل Transformation . ناهيك عن فكرة النحو العقلي أو النحو المعقلن وتقسيم الجمل إلى مسند ومسند إليه، كما وظفها في المراحل المتقدمة للنحو الكلي وخاصة في نظريته (الأدوار المحورية أو

نظرية الثيتا (Thoery Theta) و نظرية (x-bar) أين وظف هذه الأفكار بعمق ولكن تحت مسميات جديدة.

- فان همبولدت ((1767 - 1835) wilhelm von humboldt :

ما يميز همبولت عن الباحثين الآخرين هو أنه لم يقتصر على دراسة ظاهرة لغوية معينة بل حاول إقامة نظرية لغوية شاملة. إنه أدرك في هذا الزمن المبكر أن اللغة ملكة من عمل العقل، وهي فوق هذا قوة فعالة (Energia)، وليست مجرد حاصل (Ergon)، إذ لولاها لما كان هناك أي نوع من التفكير. وهذه القدرة الخلاقة هي التي تجعل أعمال الإنسان تتميز بالذكاء والإبداع وذلك على عكس أعمال الحيوان التي تنصف بالآلية، ولا تفوق مستوى تلبية الوظائف الغريزية. (مومن، ص 60)

وهمبولدت هنا يتفق مع ديكرت، فاللغة عندهما ملكة عقلية وهي نشاط يفوق تصرفات الحيوانات التي لا إبداعية فيها، بل محض استجابات متكررة للمحفزات.

"وبالإضافة إلى هذا فقد توصل همبولدت إلى إثبات شكلين مختلفين ومتكاملين للغة: شكل خارجي آلي يتمثل في الكلام وشكل داخلي عضوي (Organic) يتمثل في العمليات العقلية التحتية. وقد استفاد تشومسكي (Chomsky) في العصر الحديث من هذه الثنائية وجاء بما يسمى بالبذية السطحية والبذية العميقة وبالكفاءة (Competence) والأداء (Performance) وبمفهوم الجانب الخلاق للغة (Creativity) " (مومن، ص 60).

إن فكرة الإبداعية في اللغة التي لطالما لوح بها تشومسكي عاليا في وجه منهج علم اللغة السلوكي الذي يستمد مبادئه من دراسات وتحليلات علم

النفس السلوكي الذي يتزعمه "واطسون" و"كينز" قد اقتبسها عن همبولدت. وويعيب على اللسانيات التقليدية (البنوية الأوروبية والأمريكية) إهمال هذا الفهم الخلاق لقدرات اللغة وإبداعيتها. ومن هنا فهو يرى ضرورة العودة إلى هذه القضايا اللغوية التي تمت إثارتها سابقا دون محاولة لتقديم حلول لها (Chomsky, 1965, P 8) (ومن هنا وجب على علم اللغة أن يتكفل بإيجاد حلول لهذه القضايا).

لقد أعاد تشومسكي طرح مفهوم الإبداعية بقوة في الدراسات اللسانية الحديثة ، في فترة سيطرت فيها على هذه الدراسات الأفكار الآلية والمكانية المستوحاة من المذهب السلوكي، كما أعاد طرح نفس تساؤل همبولدت : " كيف يمكن للغة التعبير عن المعاني المتناهية بصورة غير متناهية Make infinite use of finite means وقد "أشير، مطولا، إلى هذه السمة الإبداعية في القرن السابع عشر ، كما قد كَوّن هذا المظهر اللغوي حجر الزاوية في النظرية الألسنية الكلاسيكية إلا أنه أُهمل تلقائيا وبصورة متدرجة خلال تطور الألسنية البنائية الحديثة وذلك بتأثير من المبادئ السلوكية في علم النفس . غير أنه لا يصح بالمقابل إغفال بعض ملامح هذا المظهر الإبداعي التي نجدها عند الألسنيين البنائيين . فحسبنا أن نعلم أن أندريه مارتنيه A. Martinet ، على سبيل المثال لا الحصر، يتكلم عن المواقف المتنوعة وغير المتناهية ، وعن مسائل الخبرة التي تُعبر عنها اللغة . فاللغة تبتكر بواسطة عدد محدود من الفونامات المتوفرة لديها، عددا غير متناهٍ من الأشكال و التراكيب التي تنص على معنى معين ويشير أيضا اميل بنفنيست E. Benveniste إلى أن جمل اللغة تكون مجموعة غير متناهية كما يذكر هيمسلوف Hjemsew أن اللغة غير متناهية " . (زكريا، 1986 ، ص 29)

بوسع الإنسان تفهم وإنتاج عدد لا نهائي من الجمل حتى التي لم يسبق له سماعها وهذه النقطة بالتحديد انطلق منها تشومسكي لشن هجوم شرس على السلوكيين . وجعلها ركيزة لبناء نظريته التوليدية التحويلية التي استقى منها النحو التوليدي التحويلي الذي بدوره لا يمثل سوى الحالة المستقرة للملكة اللغوية ، بعد التجربة المقدمة لها من قبل الحواس .

ولعل من أهم النقاط التي اشتغل عليها تشومسكي في بناء نظريته (النحو الكلي) فكرة همبولدت " الشكل الداخلي " للغة ، فهو يرى أن للغة شكلين ، شكل خارجي تختلف فيه اللغات عن بعضها البعض و شكل داخلي يعد واحدا من الملامح الجوهرية التي تشترك فيها اللغات جميعا ، فهو خاصة عالمية لقد استند تشومسكي إلى لسانيات بور رويال ، و لسانيات فان فليلهم همبولدت كأساس ممتين يركز عليه من أجل إنشاء لسانيات جديدة تُفسر ما يحويه ذهن المتكلم / السامع المثالي

3- الأسس النفسية واستثمار النظريات الأحيائية البيولوجية

- علم النفس الإدراكي Psychology Cognitive:

صنّف تشومسكي أسئلته السابقة ضمن اهتمامات اللسانيات و علم النفس ، وهما موضوعان لا يُميّز بينهما فهو يعدّ الجوانب اللغوية التي تُثير اهتمامه هي في الحقيقة من صميم علم النفس والفلسفة ، معتقدا أنّ اللساني إن تمكن من تقديم إجابات شافية لتلك الأسئلة فهو سيقدم لعالم الأعصاب أو المهتم بدراسة الدماغ البشري الخصائص المادية الضرورية التي كشفت عنها النظريات التجريدية لعالم اللغة .

أمّا إذا عجز اللساني عن الإجابة عن تلك الأسئلة فإن المهتمين بدراسة الدماغ البشري لن يتوصلوا إلى نتيجة ذات بال ، إذ لا يملكون فرضية ينطلقون منها ، فهم غير مدركين عمّا يبحثون أصلا .

غير أنّ تشومسكي يشير في بعض كتاباته إلى أنّ علم اللغة فرع من علم
آخر يطلق علم النفس الإدراكي Cognitive Psychology وذلك في
مؤلفاته التالية: Aspects of Theory of Syntax مظاهر النظرية النحوية

- Cartesian Linguistics علم اللغة الديكارتي

- Language and Mind اللغة والعقل

"إذا كانت اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، وعلم النفس يدرس
اكتساب اللغة واستعمالها، فإن التمييز بين اللسانيات وعلم النفس لا معنى له
في تصور تشومسكي، لأن مادة ما (Discipline)، لا يمكن أن تهتم
باكتساب أو استعمال معرفة دون الاهتمام بطبيعة هذه المعرفة. إن علم
النفس الذي يقتصر على وصف نماذج الإدراك (Modeles de
perception) والتعبير، ويقضي من حقله نفس النظام المكتسب، يحكم
على نفسه بعقم كلي، لأنه علم لا موضوع له، وعلى هذا الأساس،
فاللسانيات التي يدافع عنها تشومسكي تملأ فراغا مفهوميا، ...، لأن المشروع
التوليدي يسعى لتأصيل علم النفس اللغوي (Un Psychologie du
langage) كعلم جديد، يهتم بالنظام المكتسب، وبطرق اكتسابه في نفس
الوقت، أي أنه علم يدرس النحو، ومناهج الاكتساب في علاقاتها مع النحو
الكلي (Grammaire Universelle)، ونماذج الإدراك والتعبير، و
الأسس الفيزيائية للكل." (بنكيران، ص 49)

وفي ذلك يقول تشومسكي أثناء مناقشته لأسئلته السابقة المبثوثة في
معظم كتاباته تقريبا: "وتقع الأسئلة الأولى في حدود مجال اللسانيات وعلم
النفس. وهما موضوعان لا أميز بينهما، أي أنني أنظر إلى اللسانيات (أو على
وجه الدقة تلك الجوانب من اللسانيات التي أهتم بها هنا) على أنها ذلك

الجانِب من علم النفس الذي يهتم بالمظاهر الخاصة بهذا الموضوع." (تشومسكي، 1990، ص 18)

إنّ التّقدم المتّظر من دراسة علم النفس اللغوي حسب التّصور التّوليدي قادر على تزويد علم النفس المعرفي (La psychologie cognitive) بمناهج ممتازة ، لأنّه علم يدرس كل نظام معرفي كعضو ذهني خاص، له بنيته الخاصة ، كما يدرس التفاعل بين هذه البنيات، فعندما نرى بعض الأشياء نكون قادرين على التحدث عنها ، وهذا يعني أنّه توجد وسيلة لترجمة التمثيل البصري إلى اللغة ، و نفس الشيء يمكن أن يقال عن أنظمة الإدراك الأخرى، وهذا ما يبرر القول بأن اللسانيات ما هي إلا جزء من علم النفسي المعرفي ، لأن اللغة نسق غني ، لكنه نسق يمكن عزله بسهولة نسبية. (بنكيران، ص 49)

كان توظيف تشومسكي لعلم النفس الإدراكي بدافع تنفيذ أطروحات علم النفس السلوكي بمختلف صيغه، ولذا كانت ثورته في مجال علم اللغة تهدف إلى بناء نظرية لسانية تتجاوز حدود الوصف إلى التفسير؛ تفسير ماهية اللغة، تفسير البنية الداخلية لها (البنية العميقة) ، و كل ذلك كخطوة مستقبلية أو كتفزة معرفية لتفسير البنية الداخلية للمذهن / الدماغ البشري وبذلك تكون اللسانيات قد قدمت خدمة جبارة لـ "علم النفس المعرفي" الذي يعدّ اللسانيات فرعاً من فروعهِ .

ذلك أنّ جلّ القضايا التي يعالجها علم النفس المعرفي الإدراكي ك (طبيعة اللغة ، اكتسابها والنمو اللغوي عند الطفل ومراحل هذا النمو) هي في الحقيقة من صميم اللسانيات.

ومن هنا نرى أن تشومسكي اهتم بتلك الصورة الدفينة للأداء الفعلي لأية لغة ، ودعا علماء اللغة أن يضعوا في حساباتهم التراكييب النحوية

الصحيحة وقدرة الإنسان المحدودة على التذكر والانتباه ثم الزمن الذي تستغرقه الإشارات العصبية كي تنتقل من الدماغ / العقل إلى أعضاء النطق ، وهذا يبين مدى تداخل العوامل والعمليات النفسية في إنتاج الجمل والتراكيب .
(ليونز، ص 209-210)

فالجمل والتراكيب التي تصدر عن البشر لا تحدث عفويا كما أنها ليست مجرد سلوك آلي تُثيره المنبهات والحوافز الخارجية. إنها بناء محكم يتحكم فيه العديد من العمليات العصبية والنفسية معا.

إذ لا يمكن قياس اللغة الإنسانية التي لا حدود لطاقاتها الإبداعية بإشارات آليه كإشارات الحيوانات التي تحكمها الغرائز والمحفزات . و لذلك فهو يرى - تشومسكي - أن الأخطاء التي يقع فيها البشر " ربما هي نوع من القصور الوراثي، ولا شك أن هذه الانحرافات عن القاعدة النحوية الصحيحة تضع بين يدي عالم النفس ثروة نفسية إذا ما قام بدراستها وتحليلها تحليلًا علميًا سليماً حيث تقدم له مثل هذه الدراسة تصورا لما يجري داخل التراكيب اللغوية بما لها من صلة بالعمليات النفسية العميقة التي تحتفي وراء الاستعمال اللغوي. " (نفسه، ص 211)

يستعمل تشومسكي عبارة التمثيل الذهني Mental Representation أو اللغة المتمثلة داخليا internally represented language للتعبير عن تلك الحالات النفسية أو العقلية للغة . ولكن المقصود من هذه العبارة بقي غامضا وبعيدا جدا عن فهم الدارسين الأكاديميين أنفسهم ولم تصبح مفهومة حتى لأولئك الذين تبنوا منهج تشومسكي في معالجة هذه العبارة ، وتلك القواعد التي تعد مكونا أساسيا من مكونات الحالة الأولية للبنية العقلية للمتكلم ، أو ما يدعوه بـ " النظام الداخلي " من القواعد ، أو أن المتكلم مجهز بالنحو، هذه الأشياء تبدو شديدة الغموض لعلم النفس السلوكي وللغويين

الذين يدرسون اللغة انطلاقاً من وصف مجموعة من البيانات أخذوها كعينة من لغات ميتة مثل دراسة بلومفيلد للغة الهنود الحمر .

ولعل أهم دافع جعل تشومسكي يقحم دراسة اللغة البشرية ضمن علم النفس المعرفي أو الإدراكي هو كونه لا يدرس اللغة من أجل اللغة كما كان فعل لغويو العقود السابقة، بل لأنه كان يندش غاية أعمق وهي فهم و تفسير " كفاءة المتكلم / السامع المثالي فيما يتعلق بلغة جماعية ، ويفهم النحو على أنه وصف الكفاءة اللغوية الداخلية للمتكلم / السامع المثالي ، ويدرك الكفاءة على أنها معرفة المتكلم السامع للغة . " (هبلش ، ص 150)

وقد أدى هذا بتشومسكي إلى استعمال النحو بمعان متعددة ، وهو شيء لم يقبله علماء النفس ، فتارة يجعل من " النحو " النظرية المتعلقة بلغة المتكلم الممثلة داخليا وتارة هو تلك المداخل اللغوية للغة المتكلم (نفسه ، ص 150) ، كما عابوا عليه أيضا كونه لا ينسب نظام المعرفة النحوية إلى النحوي وحسب بل إلى المتكلم أيضا وهذا ما يجعلهم يرون أن تشومسكي يخلط بين النحو اللغوي والنحو النفسي (الداخلي) . (نفسه ، ص 151)

"ولمّا لم يجعل تشومسكي اللغة ذاتها فقط موضوع نظريته النحوية بل معارف المتكلمين حول اللغة أيضا ، فقد وسّع النحو ونظمه في إطار علم النفس الإدراكي طالما يعالج هذا الأخير الشروط النفسية لوجود أنظمة معرفية ، غير أنه يوجد في الوقت نفسه في هذا التوسيع لمهام النحو تضيق ، يكمن في أن تشومسكي يقتصر في الربط بمفاهيم الفعل في علم النفس على نظام المعرفة فقط ، يفترض إلى جانب غيره لتفسير الفعل اللغوي تفسيراً شاملاً ، ويعد الإطار الذي حدده تشومسكي مثالياً (لم يهتم بمسائل الاختلاف الاجتماعي والوظيفي) " (نفسه ، ص 153) أي أنه لا يعالج اللغة بكونها ظاهرة اجتماعية تؤثر فيها الطبقات الاجتماعية بشكل كبير درجة أن تتغير

معاني بعض المفردات من طبقة لأخرى داخل المجتمع الواحد ، فلغة أهل الشرق الجزائري الذين يعيشون في القرى و على السهول - على سبيل المثال- تختلف عن لغة أهل المدن الكبرى في الشمال و في الغرب، كما أنّ إنجليزية الزوج الأمريكي تختلف عن الإنجليزية التي يتحدث بها الأمريكيان البيض.

وهكذا اتخذ تشومسكي علم النفس الإدراكي (المعرفي) أساسا لبروز اتجاه جديد في دراسة اللغة وهو علم اللغة النفسي الإدراكي الذي وقف في وجه أطروحات علم اللغة السلوكي القائم على البنيوية الكلاسيكية والسلوكية.

- استثمار النظريات البيولوجية

يميز تشومسكي بين " الملكة اللغوية " و " المعرفة اللغوية " فالملكة اللغوية - حسب رأيه - سمة بيولوجية فطرية يولد بها المرء بينما المعرفة اللغوية فهي أمر يتعلمه الطفل أثناء نموه اللغوي .

تمثل الملكة اللغوية في ما يسميه تشومسكي بالحالة الأولية « an initial state » التي يرمز لها بـ so ، وهي هبة سابقة للتجربة الحسية أو للمادة اللغوية التي تقدمها الأسرة و المجتمع للطفل عبر مراحل اكتسابه للغته الأم.

يرى تشومسكي أنّ للملكة اللغوية جهازا لاكتساب اللغة Language Acquisition Device وهو مكون فطري أيضا للعقل البشري، يؤدي إلى إيجاد لغة معينة من خلال التفاعل مع التجربة المقدمة له. إنه جهاز يحول التجارب إلى نظام معرفي. (Chomsky ,1986, P3)

معنى هذا أن العقل البشري أبدعه الخالق بملكة اللغة - وإن كان تشومسكي لا يعتقد بفكرة إبداع الخالق هذه - إلى جانب القدرات العقلية التي تميزه عن سائر المخلوقات ، و هذه الملكة هي المسؤولة عن اكتساب اللغة الأم ، فعبء الأداء الفعلي للغة من قبل الناطقين الأصليين بها تتفاعل ملكة الطفل مع النماذج المقدمة لها لتولد بعد ذلك اللغة الخاصة Particular language، أو ما يسمى باللغة القومية و وظيفة الذحو الكلي هي الكشف عن الطرق التي تتفاعل من خلالها الملكة مع التجارب اللغوية المعطاة.

يقدم تشومسكي أدلة على وجود هذه الملكة عند الإنسان بمقارنته مع الكائنات الأخرى، فالطيور مثلاً أو القردة أو حتى الصنخور حتى وإن تعرضت لنفس الظروف (التجربة اللغوية المقدمة) لا يمكن لها البتة تحصيل اللغة ولا يمكن لها أيضاً أن تكتسب ما يسميه بـ " المعرفة اللغوية .

أما المعرفة اللغوية فهي خاصية بشرية تُكتسب ، و الذهن لا يمتلئ بها امتلاء الإناء من الخارج ، فنموها أشبه بنمو الفاكهة مهما ساهمت العوامل الخارجية في نضجها فإن جودتها مرده إلى القوة الداخلية للشجرة و ميزتها، وتطبيق هذه الفكرة الأفلاطونية على اللغة يؤول إلى معرفة لغة خاصة ، لغة تنمو و تنضج على مستوى سلسلة من الأحداث تحددها إرشادات جينية بفعل التأثيرات المختلفة للعوامل البيئية (تشومسكي، 1993، ص 52)

فهو يرى أن الشخص الذي اكتسب المعرفة اللغوية قد استوعب نظاماً من القواعد يربط الصوت بالمعنى بطريقة ما،

ويفهم من هذا أن الملكة اللغوية هي سمة بيولوجية أحيائية مثلها مثل السمات الفطرية الأخرى كالنمو والأكلة والمشية والوقوف على قدمين ، أما المعرفة اللغوية فهي شيء يكتسبه الطفل عبر مراحل نموه ذهنياً وجسدياً وهي تتأثر بالعوامل البيئية فالطفل ينبغي عليه أن ينشأ في بيئة لغوية سليمة كي تنمو

و تتطور معرفته و لكي يتعرف على محيطه أيضا. وعندما تصل المعرفة اللغوية إلى المرحلة الثانية أو المستقرة أو الناضجة نتيح هذه المعرفة للمرء قدرة ضمنية على إنتاج و تفهم عدد لا نهائي من الجمل .

لقد دعا تشومسكي في أكثر من موضع إلى دراسة اللغة بالكيفية ذاتها التي تدرس الأعضاء كالعين والقلب والدماغ ولذا فهو "لم يفتأ يشدد على القطيعة مع التصورات الميتافيزيقية التي ترجع المعرفة التي يطورها ذهن الإنسان إلى ذات متعالية و ليس إلى أسباب وراثية متعلقة بالنوع البشري، فإذا كانت التصورات العقلانية مكسبا مهما في تاريخ الأنساق الفلسفية للفكر الأوروبي، فإن التوجه الذي ينبغي أن يسلكه الدرس اللساني لمقاربة بنيات الفهم لدى الإنسان يجب أن يكون استمرارا لذلك التاريخ من جهة اقتراضه للمواقف التي على اللسانيات أن تسلكها لفهم بنية الدماغ البشري، وانفصالا عنه من جهة تحويل النظر من المتعالي إلى الواقعي ؛ أي الأسباب الوراثية والنوعية المتعلقة بالجنس البشري والتي تؤدي إلى استعمال خلاق للغة". (علوي، 2009، ص172)

لا ينسب تشومسكي القدرة اللغوية التي أبدعها الله في ذهن الإنسان إلى الذات الإلهية الخلاقة ، إنما مردها قوانين الطبيعة التي وجدت من تلقاء نفسها دون صانع مبدع ، رغم أن العديد من المتخصصين يعتقدون أن آراء تشومسكي حول اللغة تنسجم مع آراء الفكر الغربي الذي يرجع تاريخه إلى سفر التكوين في التوراة ، وكتابات أفلاطون و أرسطو و التي تميز العقل البشري تمييزا قاطعا عن دماغ الحيوان و بالتالي فهي تفسر اللغة الإنسانية بفكرة " الخلق " . (المازني، 1996)

والحقيقة أن تشومسكي - فيما أرى - يقف من هذه القضية موقفا شبيها بموقفه من النظرية الفطرية لديكارت إذ يأخذ ما يناسبه من " نظرية

الانتخاب الطبيعي " الداروينية أيضا ، إذ يقول صراحة: "فتحوي اللغة الإنسانية خصيصة اللانهاية المتميزة، وهي خصيصة غير عادية، بل ربما كانت فريدة ، ويصح الشيء نفسه على ملكة العد الإنسانية. ويمكننا أن نعد هذه الملكة شكلا "مجردا" من اللغة الإنسانية بعملية اللانهاية المتميزة ولو أنها لا تحتفظ ببعض الصفات الخاصة الأخرى للغة. وإذا سلطنا بهذا التصور فإن هذا ربما يفسر لنا حقيقة أن ملكة العد الإنسانية كانت متاحة على الرغم من عدم استعمالها في مسار النشوء التطوري للإنسان.

غير أن هذا التكهن لا يلمس مسألة أصل اللغة ولا يفسره. لكن ليس لدينا هنا إلا بعض التكهنات لا غير، وهي تكهنات غير مقنعة أيضا. فربما يمكن أن نتكهن أن تغيرا ضئيلا حدث في فترة بعيدة جدا أدى إلى ظهور خصيصة اللانهاية المتميزة، وربما كان الدافع إلى ذلك التغير أسبابا تتعلق بالخصائص الأحيائية للخلاية، ويمكن تفسير تلك الأسباب في إطار خصائص العمليات العصبية التي لا يحيط بها علمنا الآن. " (تشومسكي، 1990، ص 231-232)

معنى هذا أن الإنسان في مراحل تطوره عبر الحقب الزمنية كان دون اللغة الإنسانية الناضجة في شكلها الحالي، ونظام قواعدها المعقد، ثم بعد ارتفاعه حدث تغير لنظام الخلية الجينية ، فأدى ذلك إلى ظهور ما يسميه تشومسكي بـ "الخصيصة اللانهاية المتميزة".

لا يرد تشومسكي أصل اللغة الإنسانية لنظرية الانتقاء الطبيعي صراحة فهو يرى أنها غير قادرة على تقديم تفسير واضح لظاهرة اللغة البشرية ولكنه يقدم تعديلا لها مفاده أن ثمة سمة تطورية أو طفرة بيولوجية حدثت في المسار التاريخي الإنساني وذلك في نظام الخلية الجينية جعلت اللغة تظهر عند الإنسان ، حيث يواصل كلامه السابق قائلا: "ويمكن لنا أن نتصور قبل أن

توجد خصيصة الانهائية المتميزة كيف كان يمكن لبني الإنسان أن "يفكروا أفكاراً" لها طبيعة محددة ما، لكن حين وجدت هذه الخصيصة استطاع ذلك الجهاز التصوري نفسه أن يصوغ بعض الأفكار الجديدة ، وأن يقوم بعمليات جديدة كالاستنتاج، مما له علاقة بتلك الأفكار، كما أنه كان من الممكن عندئذ أن يعبر عن تلك الأفكار وتبادل. وعند تلك النقطة ربما أمكن للضغوط النشئية التطورية أن تتخذ التطورات اللاحقة لهذه الملكة و لو جزئياً في الأقل". (تشومسكي، 1990، ص 232)

وقد أجاب عن سؤال طرح عليه في المحاضرة الخامسة من محاضرات ماناجوا حول مرد تشابه اللغات الإنسانية إن كان سببه الأصل الواحد لها، ردّ قائلاً: " ربما كان هذا الافتراض وارداً ، لكنه ليس مؤكداً بأية حال. وهو سؤال يتعلق بالسؤال عن كيفية تطور الإنسان . فمن المحتمل جداً أن يكون هناك أصل مشترك للإنسان، لكن تطور اللغة حدث بعد تفرع هذا الإنسان إلى فروع عدة. وقد تطور النظام اللغوي بالطريقة نفسها بسبب بعض الحقائق الأحيائية و الحقائق الطبيعية. " (تشومسكي، 1990، ص 259)

إن تأثر تشومسكي بالعلوم الطبيعية جعله يوظف فرضياتها في دراسة اللغة من نفس الخلفية التي انطلقت منها. و هذا ما جعل الكثيرين (المعارضين لآراء تشومسكي والمؤيدين) يفكرون آراءه تفكيراً انتقائياً طبيعياً، بل إن بعضهم يسلّم أن تشومسكي بنى نظريته اللغوية انطلاقاً من التصورات التي وصل إليها داروين في نظريته التطورية وفقاً لمبدأ "الانتخاب الطبيعي". ولهذا فإن نقاد تشومسكي ينكرون عليه ربط طبيعة اللغة الإنسانية بنظرية داروين "الارتقاء أو الانتخاب الطبيعي" خاصة فيما يتعلق بمسألة أصل اللغة وتعدد اللغات الإنسانية.

ما يعيبه نقاد تشومسكي من ربط نظريته وتأسيسها على أسس قوية لنظرية "الانتخاب الطبيعي" لداروين مرّده ما توحى به بعض كتاباته السابقة، حيث جعلت العديد من الباحثين العرب "كالأوراعي" مثلاً والغرب "جون ماينارد سميث" يحسبون أن تشومسكي يزعم أن تفسير نشأة اللغة عند الإنسان مرده إلى الانتخاب الطبيعي. مع أن تشومسكي نفسه يفند هذا الزعم في كتابات أخرى. حيث ينفي إرجاع البنية العقلية الفطرية إلى الانتخاب الطبيعي. ذلك أن نظرية الانتخاب مجرد زعم ما دام لا يوجد دليل مادي يؤكد على وجود النحو الفطري (الحالة الأولية للغة التي نشأ عنها النحو الكلي) عند الأنواع الأحيائية الأخرى غير الإنسان . و من غير السهل تخيل مسارا للانتخاب الطبيعي الدارويني على أنه تمهيد أولى لأنظمة اللغة الإنسانية المعقدة بنحوها وتراكيبها وقولها، ولكنه في الوقت نفسه ينطلق من الفرضية التطورية المنبثقة عن الانتخاب الطبيعي لتفسير نشأة اللغة الإنسانية ، وذلك بنموذج الخصيصة اللامتناهية التي ظهرت في مرحلة ما من مراحل انفصال الإنسان عن الفرع الذي يقود إلى الشامبرنزيات، رغم أن الجهود الآلية في نقل النظريات البيولوجية الداروينية إلى علم اللغة قد فشلت فشلاً ذريعاً.

ولذا لم يسلم من الانتقادات حول هذه النقطة، فراح كثير من علماء النفس "الذين لا يطيعون سماع بعض الحجج التي تصلح أن تتحول إلى شعارات، يثرون في وجه مثل هذه الآراء ويستهنئون به فيصفونه بأنه ينتمي إلى أولئك الذين يعتقدون بفكرة الخلق لكنهم يعبرون عن موقفهم بطريقة مظلمة" (بنكر، ص 450)، وفي اعتقادي أنه لا يؤمن بفكرة الخلق ولا يصرح جهاراً باستثماره لنظرية داروين الأحيائية لكنه يعبر عن موقفه من هذا الأمر تبعاً لرؤى خاصة. فهو ليس مع هذا ولا مع ذاك ولكنه يأخذ من

كل جانب ما يتلاءم و اعتقاداته و أفكاره، و الأمر شبيه بأخذه عن ديكرات الأفكار الفطرية التي توصلنا لمعرفة الذات الإلهية التي وظفها في فكره اللساني.

من خلال ما سبق نخلص إلى عدة نقاط أهمها:

- كانت الفلسفة الغربية القديمة منبعاً ثرياً استقى منه تشومسكي أهم نظرياته و خاصة (الفلسفة الأفلاطونية، و الفلسفة الديكارتية)
- استعان تشومسكي بأعمال مدرسة بورت برويال و أفكارهم حول النحو المعلقن في بناء نظرياته.
- كان همبولدت أول من نادى بالإبداعية في اللغة الإنسانية، و عنه اقتبس تشومسكي فكرته هذه.
- كان لعلم النفس المعرفي حظ و فير من اذشغالات تشومسكي اللغوية، و استفاد من نظريات علماء الأحياء المحدثين.
- جمع تشومسكي رصيده المعرفي من هذه الحقول و اقترح علم اللسانيات الحديثة بنظريات رياضية تلقى رواجاً واسعاً في حقول معرفية شتى كعلم النفس و علم الأعصاب، و اللسانيات بفروعها.

قائمة المصادر و المراجع:

- أحمد مومن، اللسانيات، نشأة و تطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005، الجزائر
- أفلاطون، في الفضيلة (محاورة مينون)، سلسلة محاورات أفلاطون مترجمة عن النص اليوناني، تر: عزت قرني، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، القاهرة.

- آلان شالمرز، نظريات العلم، تر: الحسين سحبان، فؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، ط1، 1991، الدار البيضاء (المغرب)
- بنكيران محمد الطيب، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، مجلة عالم الفكر (مجلة فكرية محكمة) تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، يناير / مارس 1997، الكويت .
- جرهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970 ، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2007، القاهرة.
- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ج1، الإسكندرية .
- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1985، الإسكندرية.
- حافظ إسماعيلي علوي، محمد الملاح، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، لبنان، الجزائر.
- حمزة قبلان المازيني، رأي تشومسكي في نشأة اللغة الإنسانية"، جريدة الحياة، ط1، عدد 12287، 1996/10/16، من :
WWW.startimes.com
- ستيفن بنكر، الغريزية اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة، تر: حمزة بن قبلان المازيني، دار المريح، 2000، الرياض .

- رومان ياكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002، ا لدار البيضاء (المغرب)، بيروت (لبنان)
- محمد الأوراعي، الوسائط اللغوية (أفول اللسانيات الكلية) ، دار الأمان ، ط1، 2001، الرباط.
- محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية،
- محمد محمد العمري، الأسس الإستراتيجية للنظرية اللسانية " البنيوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2012 ، عمان (الأردن).
- مصطفى غلفان، بمشاركة: محمد الملاح، حافظ إسماعيلي ءلوي، اللسانيات التوليدية (من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة) ، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، إربد (الأردن)
- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986، بيروت.
- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، الكويت
- نعيم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح ، دار الفكر العربي، ط1 ، 1993، القاهرة .

- نعيم تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة ، محاضرات ماناجوا، تر: حمزة بن قبلان المزيني ، دار توبقال ، ط 1 ، 1990 ، الدار البيضاء.
- Christina Behmo, Cartesian Linguistics: From Historical Antecedents to Computational, Modeling, Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy at Dalhousie University Halifax, Nova Scotia, June 2011.
- René Descartes, Meditations on First Philosophy, translated by Elizabeth S. Haldane, Internet Encyclopedia of Philosophy, 1996. This file is of 1911 edition of The Philosophical Works of Descartes. Cambridge University Press .
- Noam Chomsky, Language and Mind , Third Edition, Cambridge University Press, 2006 , New York, United States of America
- Chomsky, Knowledge of Language, Its Nature, Origin and Use. First published, 1986, New York. United States of America. Westport, Connecticut, London.
- Noam Chomsky, Aspects of The Theory of Syntax, Second printing, December, 1965, Third printing, November, 1966, The M. I. T Press, Cambridge, Massachusetts, The United States of America.
- Zemon Pylyshyn, Rules and Representations : Chomsky and Representational Realism, Draft of a talk presented at the conference on "Chomskian Turn", Tel Aviv and Jerusalem , 1988, Center of Science University of Western Ontario , London, Ontario, Canada.